شَبَابَ الوَثْبَةِ الكُبْرَى سَلاَمُ لأَنْتُم مَعْقِدُ الأَمَلِ النَّضِيْرِ
سَنَبْقَى مُضغَةَ التَّارِيخِ حَتّى نُطَهِّرَ أَرْضَنَا مِنْ كُلِّ نِيْرِ(٢٤)

وبولادة «فتح»، أشرقت شمسُ الأمل. وتبدّدت معالم اليأس الذي كان مستبداً في النفوس:

لاَ تَقْنَطَنّ فَإِنَّ آخِرَةَ الْقُنُوْطِ إلى فَشَلْ
مَنْ صَارَعَ التَّيَّارَ لَمْ يَحْسَبْ حِسَاباً لِلْبَلَلْ
«فَتْحُ» انْبَرَتْ لِلْوَاغِلِيْنَ فَأَشْرَقَتْ شَمْسُ الأَمَلْ
بُعِثَ النَّبِيءُ فَلاَ صَلاَةَ وَلاَ سَلاَمَ عَلَى هُبَلْ(٢٥)

هَوَذَا الأمل يُشرِقُ ساطعاً من جديد، فلا فداء إلا بالدم:

لَوْلاَ غَطَارِيفُ الفِدَاءِ لَمَا ارْدَهَى أَمَلٌ لِيَعْرُبَ أَوْ تَعَالَىٰ مَفْرِقُ
بَذَلُوْا النُّفُوْسَ رَخِيْصَةً كَيْ يَغْسِلُوْا عَارَ الهَزِيْمَةِ لاَكِيْ يَسْتَرْزِقُوْا
مَرْحَى جُنُوْدَ الحقِّ مَرْحَى إِنَّنَا بِجِرَاحِكُمْ عَبَقَ النُّبُوَّةِ نَنْشُقُ(٢٦)

وهكذا يصبح الفداء اللحنَ العذبَ الذي ينشده في كل ما يخطه قلمه. تمر الذكرى الخمسون لبطل ميسلون فيربط بين شهيدها يوسف العظمة وبين الذين اتخذوه قدوة في التضحية:

هَذِيْ غَطَارِيْفُ الفِدَاءِ بَدَتْ فَاسْتَبْشِرُوْا بِالأَنْجُمِ الشُّهبِ
بَاعُوْا النُّفُوسَ لِيَشْتَرُوْا وَطَناً هُوَ عِنْدَهُمْ لِلْعَيْنِ لِلْهُدْبِ

* * *

يَا رَاقِداً فِي مَيْسَلُونَ سَقَى بِدِمَائِهِ حُرِّيَّةَ الْعَرَبِ
مَثْوَاكَ مِحْرَابٌ أَطُوفُ بِهِ وَأَحُوْمُ بِالنَّجْوَى على النُّصُبِ
صَهْيُونُ حَدَّدَ نَابَهُ كَلِباً فَاضْرِبْ مَنَابِتَ نَابِهِ الْكَلِبِ(٢٧)

وهو في إكباره ونشوته لظاهرة الفداء، لا يرحم الزعامات المتخاذلة:

إنّ العظِيم هُوَ الّذِيْ لا يَنْثَنِي عَمّا اصْطفَى مِنْ مبْدَءٍ وَشِعَارِ
أَوْطَانُهُم تَشْكُوْ وَهُمْ في حَفْلَةٍ أَوْ غَفْلَةٍ مِنْ دَمْعِهَا المِدْرَارِ(٢٨)

ويتزايد إعجاب الرجل بالفدائيين وتزداد بهم آماله في المستقبل:

هَذِيْ شُبُوْلُ «الْفَتْحِ» تَزْحَفُ عِنْ كَثَبْ
يَسْتَقْبِلُوْنَ النَّارَ غَيْثاً وَانْسَكَبْ
أَلْقُدْسُ مَطْلَبُهُمْ وَأَعْظِمْ بِالْطَّلَبْ